مصطلح التّداولية: إشكالات الوضع والاستعمال في الدّرس اللّساني العربي

أ.د.ذهبية حمو الحاج
جامعة تيزي وزو، الجزائر

ملخّص

لقد استطاعت التّداولية أن تفرض نفسها في التّفكير اللّساني العربي علمًا ومنهجًا ونظريةً ومصطلحًا، مثلما فرضت اللّسانيات نفسها في القرن العشرين. لقد تمكّن اللّسانيون العرب من تبنّي الدّرس اللّساني الغربي وتقليده بكلّ معالمه، واستطاعوا بفضله أن يطوّروا اللّغة العربية من حيث الدّراسات والمناهج. ظهرت التّداولية في الفكر الغربي مواكبة للتّفكير الفلسفي مع فلاسفة أكسفورد، مثلما ظهرت في الضّفة الأخرى لتُعيد النّظر في الدّرس اللّساني السوسوري، وتبلور ذلك عند "إميل بنفنست" في حديثه عن مشاكل اللّسانيات العامّة، ونشأ إثر ذلك ما يدعى باللّسانيات التّداولية، التي أثارت قضايا هامّة من قبيل الذّات المتلفّظة، الضمائر، السياق، الإنية التلفظية....واتّسعت بفضلها رقعة التّحليل اللّغوي، الذي طال الخطابات بشتى أنواعها...فأصبحنا نتحدّث عن منهج عام يُستثمر في كلّ ما يرتبط باستعمال اللّغة في سياق معيّن، وذلك بفضل أدواته الإجرائية وآلياته وتقنياته التي تستند إلى علوم شتّى كعلم النّفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والمنطق، واللّسانيات....والجدير بالملاحظة أنّ الدّرس التّداولي لقي اهتماما كبيرا من لدن الدّارسين العرب إلى حدّ اقتحام الجوانب الذّهنية المعرفية، والذّكاء الصناعي، وعلم النّفس المعرفي، والعلوم المعرفية بشكل عام.

الكلمات المفاتيح: اللّغة، التّداولية، اللّسانيات، المصطلح، الاستعمال.

Paragmatics has been able to impose itself in Arabic linguistic thinking on the level of methodology, theory and terminology as linguistics did in the twentieth century. The Arab Linguals managed to adopt the Western linguistic lesson and imitate it with all its features. So they were able to develop Arabic language in studies and methods. Paragmatics has appeared in Western thought, keeping the philosophical thinking of Oxford philosophers as it appeared in the other side in order to reconsider De Saussure linguistic lesson. This was cleared by "Emil Benvenist" in his talk about the problems of general linguistics, and as a result Paragmatics linguistics has appeared that discussed important issues such as pronouns, context and so on.It Hence, linguistic analysis has been expended and reached all kinds of speech... So we are talking about a general approach that is related to the use of language in a particular context thanks to its procedural mechanisms and techniques that are based on various sciences such as psychology, sociology, philosophy, logic and linguistics. It is worth noting that the pragmatism have received a great attention from Arab researcher till the extent of finding out the intellectual aspects of cognitive, industrial intelligence, cognitive psychology, and cognitive science in general viewpoint.

Keywords: language, Paragmatics , linguistics, term, use

مقدّمة

لم تصبح التّداولية مجالا مشروعا عند الباحثين اللّسانيين إلا في فترة السبعينات من القرن العشرين بعد أن تمّ تطويرها من قبل فلاسفة أكسفورد، اللّذين اهتمّوا بكيفيات توصيل المعنى من خلال عمليتي الإنتاج والتأويل، وهو ما تبلور في مفهوم التّداولية، رغم أنّ هؤلاء الفلاسفة لم يوظّفوا مصطلح التّداولية في أبحاثهم (....)، وهو ما يمثّل الأمر الغريب إلى جانب عدم دخولها في المجالات اللّسانية المعروفة: الصوتية، أو النّحوية، أو الدّلالية، وعدم اقتصارها على مجال دون آخر، لأنّها يمكن أن تشتغل بها جميعا، وتتداخل مع بعض العلوم في بعض جوانب الدّرس، ومن هذه العلوم علم الدّلالة، واللّسانيات الاجتماعية، واللّسانيات النّفسية، وتحليل الخطاب، وبسبب هذا الاحتكاك بالعلوم الأخرى كان من الصّعب تحديد "التّداولية" من حيث مفهومها ومجالاتها، واكتسبت بذلك تعريفات متعدّدة، منها ما يرتبط بدراسة الجمل الشّاذة أثناء الاستعمال، ومنها ما يرتبط بدراسته اللّغة في جانبها الوظيفي، الأمر الذي يستدعي الاستعانة بالجانب اللّغوي والجانب غير اللّغوي في الآن ذاته، ممّا يفضي في الحقيقة إلى تمييز التّداولية اللّغوية عن العلوم الأخرى المهتمّة بالجانب الوظيفي كاللّسانيات النّفسية، واللّسانيات الاجتماعية. ومن التّعاريف أيضا ما يرتبط بالجانب السّياقي، وما يرتبط بالكشف عن مقاصد المخاطِب من خطابه...

ونظرا لما طُرِح من مشاكل على مستوى إنتاج اللّغة وتأويلها، وكيفية ضبط الموقع الذي يحدث فيه، ونقصد بذلك المعنى اللّغوي، أو المعنى السّياقي، أو معنى المتكلّم، فإنّ التّعريف الأكثر ملاءمة وتداولا تمثّل في دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّفاعل التّواصلي، لأنّ المعنى الحقيقي يستدعي المعاني المذكورة سلفا، والمعنى ينتج من خلال التّداول اللّغوي بين المخاطب والمخاطب في ظروف معيّنة، ولذلك يمكن أن تلخّص خصائص التّداولية عند الباحثين اللّسانيين في:

- البحث في توظيف المعنى اللّغوي في الاستعمال الفعلي للكلام.
- لا تملك التّداولية وحدات تحليليّة تميّزها، ومباحثها غير مترابطة.
- دراسة اللّغة في التّداولية تكون من الوجهة الوظيفية.
- تشكّل التّداولية جسرا تلتقي عنده علوم متعدّدة[1].

تعدّ التّداولية اليوم من المناهج الأكثر توظيفا في دراسة اللّغة البشرية، وربّما يعود شيوعها إلى محاولاتها الصّريحة في فهم آليات إنتاج اللّغة وتأويلها، فالمباحث التي تكوّنها أسهمت بشكل كبير في إعطاء صورة أخرى من الجانب المنهجي التّحليلي، فشهدنا في الآونة الأخيرة صدور عدّة دراسات

تدور موضوعاتها حول الحجاج، أو أفعال الكلام، أو التّضمين، أو الاستلزام التّخاطبي، أو المقاصد... وتبلورت في كتب متنوّعة، ومقالات وأبحاث مترجمة تستدعي جهدا ووقتا لرصدها، إلا أنّ المجهود واضح في مقاربة مدوّنات لم تنشأ التّداولية لأجلها أصلا، لأنّ فلسفتها كانت مرتكزة على إعادة الاعتبار للّغة العادية، أو لغة التّداول اليومي، فخوض المدوّنات الأخرى كان من قبيل المغامرة، لأنّ الأمر يستدعي معاينة الأدوات والآليات المصاحبة لذلك. ومهما كان الأمر، استطاعت التّداولية بما أوتيت من مباحث ونظريات أن تشقّ طريقا يبرز تميّزها الجليّ عن المناهج الأخرى من بنيوية، وسميائية، وسردية.

1. التّداولية والذّرائعية

ارتبطت التّداولية باعتبارها مصطلحا بما له علاقة بالأفعال والوقائع الحقيقية[2]، واكتسب قيمتها من خلال ما هو عملي وما يمكن التأكّد منه على أرض الواقع من حيث الصّحة والكذب، ومن حيث النّجاح والفشل، وليس أمر غريبا، إذ Pragma كلمة يونانية تدلّ على الفعل، ومنها جاءت Pragmatucus و Pragmatica sanction لتؤدي الغرض ذاته، إلا أنّه كثيرا ما يختلط على الباحثين استعمال مصطلح Pragmatique، ولا يميزونه عن مصطلح آخر يدلّ على التّداولية ذاتها وهو ما يدعى بالذّرائعية أو Pragmatisme، وهو في الحقيقة خلط بين التّصوّر الفلسفي والتّصوّر اللّساني لنشوئها وذلك رغم انحدار المصطلحين من جذر Pragma بما يحمله من دلالة على الفعل.

وقبل الانطلاق في إشكالية وضع المصطلح واستعماله في الدّرس اللّساني العربي، آثرنا العودة إلى التّمييز بين المصطلحين رغم كثرة الحديث عنهما في الآونة الأخيرة، فإن كانت التّداولية Pragmatique التي يطلق عليها بعض الباحثين تسمية "التّداوليات" اعتقادا في نقل اللاصقة Tique الدّالة على النّسبة في اللّغة الأجنبية إلى صيغة ما ينتهي بـ (يات) على شاكلة لسانيات، وأسلوبيات، وسميائيات، والدّالة على الانتساب إلى الحقل المعرفي ذاته[3]، ورغم ما يبرّر وجود مصطلح التّداوليات نحويا ولغويا ووظيفيا، إلا أنّ اللّسانيين العرب لم يقدّموا له المكانة التي يستحقها، ذلك أنّ التّعبير بالجمع قد يحيل إلى التّفرّعات التي اتخذتها التّداولية نظرا لاهتماماتها المتنوّعة، فأصبح الحديث عن التّداولية الاجتماعية، والتّداولية النّفسية، والتّداولية التّطبيقية... وهو ما يعزى إلى موضوع البحث في حدّ ذاته، فـ"التّداوليات" يحال إليها للتّعبير عن الجهاز الصّوري الواصف لحقل التّداولية المعرفي. فإن كانت التّداولية بهذا المفهوم تمثّل مجالا معرفيا يهتمّ باستعمال اللّغة وتوظيفها في مقامات مختلفة بما تخضع له من إطار نفسي واجتماعي خاص بالمتخاطبين، وإطار لغوي يحتكم إلى الجانب التّركيبي والدّلالي، وبشكل عام ما يؤطّره نموذج التّبادل الكلامي، فإنّها تلمّ بعملية إنتاج المعنى وتأويله في خضمّ أنظمة العلامات المختلفة، وفيما له علاقة بالخطاب والسياق.

ويحيل مصطلح الذّرائعية Pragmatisme إلى الجانب الفلفسي العقلاني الذي شاع في الولايات المتّحدة الأمريكية في منتصف القرن العشرين، إنّه التّوجّه الذي استلهم العديد من الفلاسفة أمثال بورس، ووليام جيمس، وجون ديوي، الذين اختلفت مواقفهم إزاء مفهوم الحقيقة والوسيلة، والذّرائعية كانت أقرب في مفهومها وأنسب للحقيقة الثّقافية الأنجلوساكسونية، وأمّا الذّرائعية التي توصف عادة في الكتابات الأوروبية بوصفها فلسفة عملية تختزل الحقيقة في المنفعة[4] L'utilité، اقتحمت العلوم الإنسانية مثلما اقتحمت الجانب التّداولي في الدّراسة اللّسانية. ومهما كان من أمر، ومهما كان أصل نشوء التّداولية، فإنّ ما سمح ببروزها هو البحث عن علاقة العلامات بالذّات الإنسانية، والبعد السميائي الذي أضافه شارل موريس في 1938 إلى دراسة العلامة ليؤسّس الثلاثية السميائية التي تلمّ بالعلامة من الجانب الدّاخلي والخارجي والذّاتي، وتبلورت في:

- علم التّراكيب: علاقة العلامات فيما بينها.
- علم الدّلالة: علاقة العلامات بما تشير إليه في العالم الخارجي.
- التّداوليات: علاقة العلامات بمؤوليها[5].

والجدير بالملاحظة أنّ الاستعمال هو العامل الذي أُضيف للدّراسات السّابقة باعتباره بعدا يستدعي عناصر كثيرة لتحقّقه، وهو ما سيفضي إلى الاهتمام بأغراض الكلام، والمقاصد، وقوانين الخطاب،....وانطلاقا من هذه العناصر الأساسية يظهر قصور النّظرية البنيوية السوسورية في تشدّدها ووقوفها عند الحدود الدّاخلية للّغة بسبب الخوف من الخروج عن العلمية La scientificité ، والبحث التّداولي الذي فتح آفاق الدّراسة اللّسانية والإلمام بالمكوّنات الاجتماعية والنّفسية والثّقافية المؤسّسة للّغة البشرية والمسيّرة للاستعمال اللّغوي، الذي تحقّقه الممارسات التّلفّظية لتحقيق الأغراض الكلامية وإيصال المقاصد الظّاهرة منها والخفيّة.

2. وضع المصطلح واستعماله في الدّرس اللّساني العربي

أمام ما اكتسبه مصطلح التّداولية من تحديدات مفهومية عند الغرب، لقي استقبالا مميّزا عند العرب، انكبّ الباحثون على الأخذ به وترجمته وإعطائه أبعادا مختلفة، رغم إقرارهم بنسبية نقل المصطلح وترجمته ترجمة وافية، ولذلك وجدنا عدّة اصطلاحات تعبّر عن الخلفية المعرفية لأصحابها، وقبل أن ندخل في غمار ذلك، لابد أن نعود إلى تحديدات القدماء للكلمة من حيث دلالتها وتداولها، وكيف استثمرها الباحثون في تبرير ما ذهبوا إليه، ففي لسان العرب ألفنا ابن منظور يقول:"...وتداولنا الأمر: أخذناه بالدّول. وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر...ودالت الأيام: دارت. واللّه يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة... ويقال: تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة"[6]، فالمفهوم الوارد عند ابن منظور لا يخرج عن الانتقال

ودوران الأشياء بين النّاس، وهو ما يحيل إلى التداول الذي يقتضي تبادل الكلام، أو الأشياء مهما كان نوعها. ولم يبتعد ابن فارس عن هذا التّحديد، فقد ربط مصطلح التّداول بالانتقال الخاص بالمعنى من طرف إلى طرف آخر، يقول:" دول الدّال والواو واللام أصلان أحدهما يدلّ على تحوّل شيء من مكان إلى مكان والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء. فأمّا الأوّل فقال أهل اللّغة: إندال القوم إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إن صار من بعضهم إلى بعض. والدَولة والدُولة لغتان. ويقال بل الدولة في المال والدُولة في الحرب، وإنّما سميّا بذلك قياس الباب لأنّه أمر يتداولونه، فيتحوّل من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا"[7]، وإذا ركّزنا على مفهوم الانتقال المتبادل بين الثنائية الخطابية، أو ما يتبلور في الحوار وما يقتضيه من تفاعل، نأبه إلى الدّقة التي فُسّر بها المصطلح، وهو المعنى الذي استوحاه الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن عندما أراد أن يدلي بدلوه في هذا المجال، فهو الذي تحدّث عن البراكسيس Praxis أو الممارسة والتّفاعل في محاولة ضبط الفوضى المصطلحية التي عرفها بعض الباحثين، فهو يقول في إحدى المؤتمرات:" ومن جملة ما فعلت إنّي وضعت مصطلحات كثيرة تبنّاها زملائي عن رضى وعن اقتناع علمي، منها المصطلح الذي نتداوله اليوم، وهو التّداول، فإنّي وضعت هذا المصطلح منذ 1970 في مقابل Pragmatique التي صادفتها آنذاك في اهتماماتي بالتّمييز بين التّركيب والدّلالة والتّداول على المستوى المنطقي"[8].

الملاحظ أنّ المصطلح الذي اعتنى به الفيلسوف هو التّداول وليس التّداولية التي ذاع صيتها بين الباحثين اليوم، وهو ما يجعلنا نعرّج على التّحديدات القديمة لهذا المصطلح مثلما وردت في المعاجم العربية القديمة، والتي لم يخرج أصحابها عن فكرة الانتقال، الأمر الذي يوضّحه الفيلسوف في قوله :" لا أريد أن أقدّم كلّ التّبريرات التي تدعمّ اصطلاحي على هذا اللّفظ. وهي أنّ "التّداول" أفضل كلمة يمكن استعمالها لمقابلة لفظة Pragmatique"[9]، فيبدو الحسم الفاصل للفيلسوف في اختياره لفظة "التّداول" ترجمة لمصطلح Pragmatique الغربي ودون الإدلاء بالتبريرات التي تُوضّح صلاحية المصطلح دون المصطلحات الأخرى.

والتبرير العلمي الذي يفصح عنه الفيلسوف كامن فيما تقدّمه كلمة "التّداول" من دلالة على التّفاعل، المفهوم الذي لا نجده في التّحديد اليوناني لمصطلح Pragma. فيبقى إذن في نظر الفيلسوف أنّ "التّداول" باعتباره مصطلحا أفضل بكثير مقارنة بمصطلح Pragmatique أو "البرغماتية" الذي يرفضه، يقول في هذا الشّأن :"ولو أنّ تشومسكي وغيره وإن لم يكن تداوليا، ولو أنّ التّداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللّفظة في العربية لفضّلوها على لفظة Pragmatique لسبب واحد وهو أنّها لا توفي بالمقصود من علم التّداول كما سوف نرى، فلفظة "التّداول" تفيد في العلم الحديث الممارسة ونعبّر عنها بـ Praxis تفيد تماما الممارسة وهي مقابل المصطلح التّاريخي، وتُفيد أيضا التّفاعل في التّخاطب-في عملية الخطاب تُفيد التّفاعل-"[10].

وهناك من يتحدّث عن أسبقية العرب في التّعرّف على التّداولية، وتبلورت تلك المعرفة في

علم البلاغة، وعلم النّحو، والخطابة، والنّقد، دون تجاهل الدّور الذي أدّاه الأصوليون حينما حاولوا الرّبط بين الخصائص الصورية والخصائص التّداولية للموضوع، يقول السويرتي :" إنّ النّحاة الفلاسفة المسلمين، والبلاغيين، والمفكرين مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتّجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وُظّف المنهج التّداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"[11].

إنّ وضع مصطلح "التّداولية" عندد العلماء العرب قديما كان مرتبطا بالنصّ المقدّس، فالوصف اللّغوي الذي دار حوله لم يكن ليجرّد الأقوال عن سياقات ورودها، وبالتّالي كان الحديث عن الخطاب في شكله المتكامل، وكان الاعتماد على المقام والمقال، وما هو وصف وتداول في الآن ذاته، فكلّما كانت هناك مطابقة بين المقال ومقتضى الحال كانت العودة إلى الخصائص التّداولية من النّاحية التّأويلية، وكلّما كان هناك اهتمام بالجانب التّوليدي والإبداعي كانت العودة إلى الخصائص التّداولية ذاتها.

لقد كان للأصوليين جهد معتبر في تحديد علاقة اللّفظ بمرجعه أو ما يحيل إليه، فقد فصّلوا تفصيلا كبيرا بين حالات المرجع الذي يعود إليه اللّفظ، وميّزوا بين وضعياته أيّما تمييز، مثلما عرّجوا على ما هو مصرّح وما هو ضمني من مرجع...ولا يخفى على الباحثين أنّ الظّواهر ذاتها أصبحت محل معالجة العلماء المحدثين، ومن بينهم أحمد المتوكّل الذي وضع لبنات الجانب الوظيفي المنهجي في اللّغة العربية، وهو ربط بين البنية والوظيفة. والحديث عن مهام اللّغة ووظيفتها عند علماء اللّغة قديما أو حديثا هو حديث عن القيمة النّفعية والعملية التي تستدعي الاهتمام بالجانب اللّساني والوظيفي في الآن ذاته، فلابد عند معالجة اللّغة والعودة إلى القدرة اللّغوية الاستناد إلى المعارف المساعدة على ذلك، من معرفة لسانية وخطابية، وهو جمع بين البناء والاستعمال أو التّداول.

لقد تعدّدت مجالات التّداولية، واكتسبت أبعادا متعدّدة ومفاهيم شتّى ما جعل تعريفها يتّسم بالغموض تارة وبالاتّساع تارة أخرى. إنّ مجموع المعاني التي اكتسبتها التّداولية من الجانب المعجمي، من حيث الانتقال من حال إلى حال، والتّناقل الذي هو على وزن (تفاعل)، والتّحوّل من مكان إلى آخر جعل المصطلح يركن إلى كلمة "التّداولية"، يقول خليفة بوجادي :" ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا –بهذه الدّلالة- من المصطلحات الأخرى الذّرائعية، النّفعية، السياقية... وغيرها"[12]، وإن كانت المفاهيم تتراوح بين التّناقل، والتّحوّل، والانتقال، والاشتراك في العمل وتقاسمه، فذلك أفضى إلى الحديث عن (المجال التّداولي) عند طه عبد الرحمن عندما قال :"إنّ الفعل (تداول) في قولنا (تداول النّاس كذا بينهم) يفيد معنى (تناقله النّاس وأداروه بينهم)[13]، فهو يربط مفهومي "النّقل" و"الدّوران" باللّغة المنطوقة والتّجربة المحسوسة، ويستدلّ على ذلك بمجموعة من المعاني الرّادفة لاستعمالات مخصوصة، ويركّز أساسا على "التّواصل" و"التّفاعل"، فهو الذي يقول:" "فالنّقل" و"الدّوران" يدلاّن بذلك في استخدامهما اللّغوي على معنى النّقلة بين النّاطقين، أو

معنى "التّواصل"، ويدلاّن في استخدامهما التّجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، أو قل معنى "التّفاعل"، فيكون التّداول جامعا بين جانبين إثنين هما: التّواصل والتّفاعل، فمقتضى "التّداول"، إذن، أن يكون القول موصولا بالفعل"[14]، وهي الفكرة ذاتها التي انطلق منها فلاسفة أكسفورد أي القول يساوي الفعل.

لقي مصطلح "التّداولية" استحسان الباحثين العرب حديثا، ووظّفوه أيّما توظيف في جلّ المدوّنات، رغم اللذين يشكون من قلة الاهتمام بهذا المنهج في الثّقافة العربية بالخصوص وهو ما أثاره مصطفى غلفان في كتابه "اللّسانيات العربية الحديثة".

وجدنا في العصر الحديث من الباحثين من لم يميّز بين التّداولية والبلاغة، فإذا كانت البلاغة إبلاغا وتبليغا أو ممارسة تواصلية بين المخاطِب والمخاطَب، فإنّها تداولية في الصّميم بمفهوم صلاح فضل، مثلما يشهد البلاغيون المعاصرون لإمكانية مقابلة المصطلحين، يقول محمد العمري :" وحديثا يعاد الاعتبار إلى البلاغة في الدّراسات السميائية تحت عنوان جديد: التّداولية"[15]، فيبدو أنّ البلاغة والتّداولية يحتلاّن المكانة المفهومية ذاتها، نظرا للتّشابه الحاصل في القضايا التي يهتمّان بها، فإن كانت البلاغة تأخذ من الابلاغ والبلاغ، وفي ذلك استعمال للّغة بعلاماتها اللّغوية وغير اللّغوية، فإنّ التّداولية تأخذ بالمسعى ذاته، من حيث ربطها استعمال اللّغة بالذّات الإنسانية، كما تشتركان في عنصر هام كان مجال إشكال بالنّسبة للّسانيات المعاصرة وهو السياق، أو ما يدعى بمقتضى الحال، يقول صلاح فضل:" ويأتي مفهوم التّداولية ليغطّي بطريقة منهجية منظّمة، المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال)، وهي التي أنتجت المقولة الشّهيرة في البلاغة العربية (لكلّ مقال مقال)"[16].

3. المقاربة التّداولية في العالم العربي

إنّ معظم الدّراسات المنجزة حول تداوليات النصّ والخطاب الأدبي في العالم العربي كانت من قبل باحثين تونسيين ومغاربة وجزائريين، ونذكر منهم: محمد مفتاح، الذي اشار إلى بعض المفاهيم التّداولية في كتابه (في سمياء الشّعر القديم)، وأحمد المتوكّل الذي اهتم بالبعد التّوليدي وكان ذلك في كتابه:"الوظائف التّداولية في اللّغة العربية" (1985)، وكتاب" اللّسانيات الوظيفية: مدخل نظري" (1987)، ومحمّد خطابي في كتابه "لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب" (1991).

ويمكن أن نقوم برصد عام لمصطلح "التّداولية" وفق النّمط الذي نُقل به من اللّغة الانجليزية أو الفرنسية، ويكون مصطلح "التّداول" الوارد في المعاجم العربية أقدم مقابل لمصطلح Pragmatique، وتمّ إقراره عند:

- أحمد المتوكّل: الوظائف التّداولية في اللّغة العربية(1985).
- عادل الفاخوري: الاقتضاء في التّداول اللّساني (بحث) (1989).

- خالد سهر: قصص الحيوان جنسا أدبيا (أطروحة دكتوراه) (1999).
- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر(2002).
- إدريس مقبول: البعد التّداولي عند سبويه (بحث) (2004).
- عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية(2004).
- مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب(2005).
- زينب محمد الأمير: المرأة في روايات جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في البنية التّداولية السّردية(2005).
- نعمان بوقرة: اللّسانيات، اتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة(2009).

في مجال التّرجمة وجدنا مصطلح "التّداولية" في مقابل مصطلح Pragmatique عند:

- سعيد علوش: المقاربة التّداولية(1979).
- عبد القادر قنيني: النّص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي(2000).
- سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني: التّداولية علم جديد في التّواصل(2003).
- منذر عياشي: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان(2007).
- صابر الحباشة: التّداولية من أوستين إلى قوفمان(2007).
- خالد سهر: التّداولية والسّرد(2009).
- قصيّ العتابي: التّداولية(2010).

وفي مقابل ترجمة Pragmatique بالتّداولية عند الباحثين اللذين سبق ذكرهم، يوجد من أعطى له مقابلا وحرص على الأبعاد التي يأخذها من خلال الخلفيات التي ينطلق منها، ونجد من قبيل ذلك ما قام به:

- محمد علي الخولي الذي ترجم التّداولية أو Pragmatique بعلم الرّموز•.
- عبد القادر الفاسي الفهري الذي ترجم Pragmatique بالذريعيات (1976).
- ميجان الرويلي وسعد البازغي اللذان ترجما Pragmatique بـ"الذّرائعية الجديدة"

(1995).

- محمود فراج الذي ترجم Pragmatique بـ"البرغماتية" (1998)
- سعيد بحيري الذي ترجم Pragmatique بـ"البرغماتية" (2003)
- جورج كتورة الذي ترجم Pragmatique بـ"الذّرائعية" أو "العملانية" (2009)

إنّ أوّل من استعمل مصطلح Pragmatism هو الفيلسوف بورس وذلك في 1878 وضمن مقال بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة" ليأتي بعده وليام جيمس ويقدّم أيضا في التّوجّه ذاته محاضرة بعنوان "التّصوّرات العقلية والنّتائج العملية" وذلك في 1898، والملاحظ أنّ العناوين لا تحمل مصطلح "التّداولية" الذي أحدث جدلا كبيرا، ذلك أنّ اللّغويين العرب يمكنهم التّعبير عن العناوين ذاتها بـ: الايضاح، والإفصاح، والبيان، والتّبيين، ويبقى البحث عن كيفية القيام بذلك، إذ يحرز "التّداول" مكانة هامّة. ويمكن أن يكون المقابل أيضا هو الكلام أو الحديث، إلا أنّ الظّاهرتين ترتبطان بالمخاطب المفرد ظاهريا أكثر ممّا يبرزه "التّداول" من وجود للثّنائية الخطابية.

استعمل صلاح فضل مصطلح التّداولية في 1992 مقابلا لمصطلح Pragmatique، إلا أنّه فضّل التّرجمة الحرفية التي لم يستحسنها بعض أقرانه ومنهم مازن الوعر وعيد بلبع، يقول صلاح فضل: " فإنّ البلاغة والتّداولية البرغماتية تتفقان في اعتمادهما اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي"[17]، وبذلك يقترح مازن الوعر مصطلح "الوظيفية أو النّفعية" مقابلا لمصطلح Pragmatique. وهناك من الباحثين اللذين لم يميّزوا بين المصطلحين في أثناء نقلهما إلى اللّغة العربية، رغم دعوة البعض منهم إلى الحذر من الخلط بينهما باعتبار Pragmatism مذهبا فلسفيا يركّز على الواقع العملي للبشر ولا ينضوي وراء القضايا المطلقة والمجرّدة، فالرّجوع والاعتماد على دعامة "الواقع العملي" هو الذي أدّى بالباحثين إلى عدم الرّكون إلى الحدود الفاصلة بينهما، يقول أحدهم :"وهذا الخلط ينطوي على خطأ بيّن، فالفلسفة الأمريكية البرجماتية النّفعية لا تضمّ بداخلها التّداولية اللّغوية... ولكن يبدو أنّ اشتراك بورس في التأسيس للسميوطيقا التي تولّدت عنها التّداولية بشكل ما على يدّ موريس فيما بعد، واشتراكه كذلك في التأسيس للمذهب الفلسفي المعروف كان له أكبر الأثر في انزلاق بعض الباحثين في هذا الخلط"[18].

وفي هذا الشّأن، يشير يوسف أبو العدوس إلى استعمال مصطلح " الذّرائعية" عند بعض الباحثين، ولكنّه يتوقّف عند التّداولية كمصطلح مقابل لـ Pragmatisme، ويفضّل في نهاية الأمر التّرجمة الحرفية للمصطلح، ويوظّفها في دراسته ويسمّيها " البرجماتية مصطلحا نقديا"، إلا أنّ التّرجمة الحرفية لا تعدّ حلاّ، لأنّ الخلط لا يزال قائما في صفوف الباحثين . ونتيجة هذا الخلط وعدم الاستقرار على مصطلح واحد، ظهرت مقابلات متعدّدة في اللّغة العربية لمصطلح

Pragmatique، ومنها: التّداولية، والسياقية، والمواقفية، والتّخاطبية، والذّرائعية، والتّبادلية، والاتّصالية، والنّفعية، والفلسفة العملية، واستخدمت جميعها في مجالات متعدّدة كالأدب، واللّغة، والفلسفة، والنّقد. وهناك من استعمل مصطلح القصدية رغم الاختلافات الواردة بينهما، واحتواء الثّانية على الأولى.

4. معالم الخلط بين هوية المصطلحين

إنّ الخلط في توظيف المصطلح ومحاولة إيجاد المقابل الحقيقي له مرتبط بعدم فهم وإدراك المعنى على حقيقته، فإذا كان مصطلح Pragmatique مرتبطا في اللّغة العربية بمعنى المحسوس، والملائم للحقيقة، أين هذا كلّه في المصطلحات المقترحة؟ وإذا كان مصطلح Pragmatisme في اللّغة الإنجليزية دالا على علاقة الأعمال بالوقائع الحقيقية، فأين له من تبرير في مصطلح "الذّرائعية" أو "النّفعية"؟ لأنّ في لسان العرب نجد الذّريعة بمفهوم الوسيلة والسّرعة في أداء الفعل، يقول ابن منظور : " والذّريعة: الوسيلة. وقد تذرّع فلان بذريعة أي توسّل، والجمع الذّرائع... والذّريع: السريع. وموت ذريع: سريع فاش لا يكاد الناس يتدافنون، وقيل ذريع بالكتابة أي سريع...."[19]. فيبدو أنّ المفهوم العربي المعجمي يتوافق مع المفهوم اليوناني الذي جعل Pragma مرتبطا بالفعل. والمتتبّع لمعنى المصطلحين الغربيين Pragmatisme وPragmatique ومن خلال العودة إلى معانيها في المعاجم العربية سيدرك لا محالة أنّه لا مجال للخلط بينهما، على اعتبار مفهوم الوسيلة والسرعة التي يتّخذها مصطلح Pragmatisme من الجانب الفلسفي ومفهوم الاستعمال الذي يرتبط بمصطلح Pragmatique، يقول طه عبد الرحمن: " سمعت بأنّ التّداول، وسمعتها مرارا وتكرارا وفي هذا المجلس الكريم، سمعت بأنّ التّداول هو من وضع ومن خلق فلاسفة اللّغة العادية، وهذا كلام لا أقول بجانب الحقيقة، وإنّما يحرّفها فقط... سمعت هذا وأقول بأنّ هناك قضايا كثيرة لم يضعها فلاسفة اللّغة العادية"[20]، فينبغي أخذ الحيطة حين العودة إلى المصطلحات وتحديداتها المفهومية من حيث أصولها وامتداداتها، وحديث الفيلسوف عن التّحريف في تحديد المصطلح قد يوقع الكثير من الباحثين في أوهام ومخاطر جسيمة، ولاسيما وأن انتقال المصطلح سيأخذ أبعادا متعدّدة قد يستحيل تصحيح ما لا يمكن تصليحه.

ومهما كان الأمر، تطوّرت التّداولية ونظرا لشساعة ما تطرحه من موضوعات وغموض معالمها بما تحمله من مباحث، انتاب الباحثون التردّد في وضع المصطلح الملائم، فتعدّدت المقابلات العربية على مستوى التّرجمة أو التّعريب أو الاجتهاد، وذلك لعدم ركون المصطلح إلى مفهوم قار وثابت في أذهانهم، واختلاف ادراكهم له أيضا ما داموا يأخذون من مشارب مختلفة ويحيلون إلى خلفيات متعدّدة، الأمر الذي جعل البعض يعتقد في صلاحية مصطلح "التّداولية" كمقابل للمصطلح الأجنبي Pragmatique. وحتّى نضمن استمرارية هذا المصطلح في الدّراسات اللّسانية والنّقدية، ينبغي

الاحتفاظ به والتّخليّ عن المصطلحات الأخرى ومنها الذّرائعية التي تقرّ بالجانب العملي والفعلي للإنسان في سبيل حصوله على المعارف، والأمر ذاته بالنّسبة لمصطلح " النّفعية" التي صادفناها كثيرا إلى جانب مصطلح " العملية".

وباعتبار الانتقادات الموجّهة للمصطلحات المذكورة سلفا، أقرّ بعض الباحثين أنّ "التّداولية" هي المصطلح الأنسب للمصطلح الأجنبي Pragmatique عملا باقتراح الفيلسوف طه عبد الرّحمن الذي أكّده عليه سنة 1970 في مؤتمر حول الدّلاليات والتّداوليات، وقد صرّح مثلما أشرنا إلى ذلك بصلاحيته ومشروعيته. وانطلاقا من هذه الفكرة، يخصّص صلاح فضل تعريفه للتّداولية بعلاقة النصّ بمستخدميه[21]، وهو بذلك يتجاوز الحديث عن العلامة في المنطلق/ المنحى السميائي، والاستخدام أو التّوظيف الذي سيحتكم إليه النصّ ما هو إلا سياق إنتاجه وتأويله.

ورغم الاقتراح الذي أدلى به الفيلسوف طه عبد الرحمن، والذي لقي استحسان المشاركين في ذلك المؤتمر، إلا أنّ التّذبذب ظلّ واضحا من حيث استعماله عند الباحثين العرب، تارة يؤخذ به اقتفاء لما ورد من تحديد في المعاجم العربية، ويبدو أنّه التّبرير الأمثل مادام مفهوم التّداول الذي أراده هؤلاء الباحثين (وفي الصدارة نجد طه عبد الرحمن) يسقط في التّفاعل والتّحاور والتّبادل، يقول بهاء الدّين محمد مزيد في هذا الشّأن:" التّداولية لغة من التّداول. والتّداول تفاعل يلزمه طرفين على أقلّ تقدير: مرسل ومستقبل، متكلّم وسامع أو مستمع، كاتب وقارئ، بمعنى أنّ مدار اشتغال التّداولية هو مقاصد وغايات المتكلّم، وكيف تبلّغ مستمعا أومتلقيا، وكلّ تداول تحكمه ظروف وآليات وعوامل تحيط به، لذا فالتّرجمة لها ما يبرّرها، ويبدو أنّها استقرّت بالفعل على حساب "البرجماتية" و"البرجماتيكية" وهما بالإضافة إلى "أعجميتهما" ربّما يؤدّيان إلى خلط بين المقصود في هذا التّبسيط والمدرسة الفلسفية المعروفة بالنّفعية أو الذّرائعية"[22] ، فإذا أُخذت العناصر المذكورة في هذا التّعريف بعين الاعتبار، فذلك سيجعل التّداولية تستنجد بعلوم ومعارف أخرى لتتمكّن من ضبط القضايا التي تعالجها، نظرا لتعقّد الموضوعات وتعدّدها وانبثاقها من مشارب مختلفة، ناهيك عن العمليات الخفيّة أو الذّهنية التي تتحكّم في سيرورة الخطاب البشري وانسجامه وتماسكه، يقول محمود طلحة :"التّداولية مصطلح يحمل مفهوما قديما وجديدا في نفس الوقت، فمن خصائصه أنّه متّصل بدراسات أخرى كالفلسفة، والمنطق، والسميائيات، واللّسانيات، ومنها علم الاجتماع وعلم النّفس المعرفي"[23]. يبدو أنّ مصطلح التّداولية يأخذ بالتّحديد المفهومي الحديث والقديم، ممّا يكسبه شرعية الشّيوع نظرا لعدم غرابته وملاءمته للمعنى المطلوب.

5. مكانة مصطلح "التّداولية" عند اللّسانيين العرب

وإذا كان مصطلح "التّداولية" في مقابل Pragmatique مصطلحا يفي بالغرض المطلوب من حيث المعنى والاستعمال، فإنّ ذلك ما جعل أغلب الباحثين يفضّلونه عن المصطلحات الأخرى، يقول

جميل حمداوي :" يترجم مصطلح Pragmatique بعدّة كلمات باللّغة العربية، فهناك الذّرائعية، والتّداولية، والبرغماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتّخاطبية، والنّفعية ، والتّبادلية، ولكن أفضل مصطلح في منظورنا هو التّداولية، لأنّه مصطلح شائع بين الدّارسين في ميدان اللّغة واللّسانيات من جهة، ولأنّه يحيل على التّفاعل والحوار والتّخاطب، والتّواصل، والتّداول بين الأطراف المتلفّظة من جهة أخرى"[24]. وإن بدا الأمر واضحا في مقترح طه عبد الرحمن، وجدنا محاولات كثيرة ترمي الاقتراب إلى معنى Pragmatique الغربي، ومنها مصطلح التّخاطب الذي اقترحه محمد محمد يونس علي حينما يقول :" أُفضّل ترجمة مصطلح Pragmatique بعلم التّخاطب وليس بالتّداولية، أو النّفعية، أو الذّرائعية كما يفعل عدد من اللّسانيين العرب توهّما منهم بأنّ Pragmatics و Pragmatism شيء واحد. والواقع أنّ المصطلح الأول يطلق على الدّراسات التي تعني بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتّفق في معناه الحرفي، وهو علم الاستعمال، وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي سنلحظ أنّ الاستعمال –الذي يقابل الوضع عادة- يطلق على النّشاط الذي يقوم به المتكلّم في عملية التّخاطب، ولذا فإنّ التّرجمة Pragmatics بعلم التّخاطب أنسب...أمّا Pragmatism فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أنّ النّظرية لا تجدي نفعا ما لم تكن لها تطبيقات عملية"[25]، واقتراح مصطلح التّخاطب مبرّر بالمظهر الإبلاغي الذي يتّخذه المتكلّم حينما يستعمل اللّغة قصد إيصال المعنى فيما يتبلور في مصطلح البلاغ أيضا الذي يندرج ضمن ما يرتبط بالابلاغ والقصد، والصورة، يقول أبو هلال العسكري :"البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنك في نفسك، مع صورة مقبولة وعرض حسن"[26].

والحديث عن الفرق بين المصطلحين Pragmatics وPragmatism ، من حيث نقلهما إلى الدّرس اللّساني العربي سيحيل حتما إلى تلك الآراء التي تنادي بعدم توظيفهما في المقام ذاته باعتبار الأغراض التي جاءا من أجلها، يقول أحدهم :" إنّ هناك بونا شاسعا بين الاصطلاحين في الفكر اللّساني والفلسفي الحديث، ممّا يعني عدم جواز ترجمة مصطلح البرغماتية بالذّرائعية، لأنّها مدرسة فلسفية معروفة باسم يختلف هدفها عن الأولى، فهي تلحّ على المكوّن العملي والفاعل للإنسان بقصد بلوغ المعرفة"[27]، والمنحى ذاته وجدناه مكرّرا عند ثلّة من الباحثين يقضي باستبعاد مصطلح Pragmatisme، وما يحيل إليه في الدّراسة اللّسانية، يقول محمد عكاشة :" فالبرجماتية اللسانية Linquistics Pragmatics أو التّداولية اللّسانية هي نفسها التّداولية التي شاعت في البحوث العربية، وقد اخترت مصطلح "البرغماتية اللّسانية، لدلالته على الفمهوم الغربي الدّقيق، وللتّفرقة بين المصطلح اللّساني الحديث والمصطلح الفلسفي Pragmatism، وقد ترجم الأخير إلى البرغماتية والفوائدية والنّفعية"[28].

وإن اتّضحت الآن الحدود الفاصلة بين التّداولية وما يدعى بالذّرائعية، فإنّ الترجمة الحرفية أو نقل المصطلح الغربي بصيغته الأولية لا يحل المشكلة بتاتا، لأنّ اللّغة العربية تتّسع في رصيدها لأن

تستوعب هذه المصطلحات التي أثبت الباحثون أنّها موجودة في معاجمها وفي ذاكرتها، وإن تجاوزنا هذا الإشكال فيما يطرحه من آفاق، فإنّ اللّسانيين العرب ركنوا في أغلبيتهم إلى مصطلح "التّداولية"، إلا أنّ ما يندرج تحته من مصطلحات كانت عُرضة إلى الذّبذبة والاضطراب، الأمر الذي يؤكّده الفيلسوف طه عبد الرحمن عندما يحيل إلى مصطلح الاستلزام التّخاطبي Implicature Conversationnelle المنسوب إلى جرايس، إذ يرفض هذا المصطلح ترجمة لـ Implicature ، وهو يقترح مصطلح "مفهوم" لأنّه الأنسب بحسب رأيه، ويبرّر ذلك بالعودة إلى الأصوليين الذين يفرّقون بين منطوق الجملة ومفهومها، فالمنطوق هو الذي يتبادر إلى الذّهن عند سماع الجملة، أمّا مفهومها فيعبّر عمّا يمكن الوصول إليه بطريقة غير مباشرة، لأنّ الاستلزام هو بحث عن غير المصرّح أو الضّمني في القول، وبذلك فكلمة "مفهوم" أنسب له تطبيقا لما ذهب إليه الأصوليون، وما يعبّر عنه المصطلح في حدّ ذاته.

ونجد الوضعية ذاتها مع مصطلح تداولي يستعمل أيضا بتفاوت بين اللّسانيين التّداوليين وهو مصطلح الافتراض المسبق أو الاقتضاء المقابل للمصطلح الغربي Présupposition، فطه عبد الرحمن يأخذ بالمصطلح الثّاني ويشتغل به، ويشير إلى أنّ الجانب غير التّداولي منه قد وضعه ستراوسن Strawson دون ذكر المبرّرات. مثلما يفضّل الفيلسوف مصطلح سياق التّبليغ بدل سياق التّواصل الذي قال به أحمد المتوكّل في إطار التّفرقة بين الدّلالة والتّداول، والسياق عنصر هام جدا في تحديد مصطلح التّداولية الذي أكّد كلّ الباحثين اللّسانين على خضوع اللّغة واستعمالها له، وإن اتّسم هذا المصطلح بشيء من التّعميم عند البعض، فإنّه عند طه عبد الرحمن ينقسم إلى شقّين، يقول الفيلسوف :"إنّه يقتضي أوّلا عنصر ذاتي...وهو معتقدات المتكلّم، فكلّ متكلّم له معتقدات، وأيضا مقاصد المتكلّم فهو حينما يتكلّم يقصد شيئا. وكذلك اهتمامات المتكلّم فقد تكون له أهداف ينبغي أن ندخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظّاهرة اللّغوية. ثمّ ينبغي أيضا أن نراعي في هذا العنصر رغبات المتكلّم، فإذن هناك الاهتمامات والرّغبات والمقاصد والمعتقدات كلّها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق"[29]، ويسمّي الشّق الثّاني بالعنصر الموضوعي ويحدّده بالوقائع الخارجية التي يتمّ فيها القول (الظّروف)، إضافة إلى ما يشترك المتخاطبان ويتقاسمانه من معرفة مشتركة تضبطها المعالم الاجتماعية أو الثقافية أو التّراثية[30]. الملاحظ أنّ هناك إقحاما لعناصر مهمّة تؤدي دورا مباشرا أو غير مباشر في تسيير التّخاطبات البشرية أو تداولاتها الكلامية. ويمكن أن نضيف إلى لائحة المصطلحات التّداولية مصطلح الإنجاز/ الإنشاء الذي صاحب الفعل في فلسفة اللّغة العادية، فهو يلتقي مع مفاهيم البلاغة القديمة عند عودة البلاغيين إلى تقسيم الجملة إلى خبرية وإنشائية، فأصبحنا نتحدّث عن أفعال إنشائية بصيغة حداثية مع التّوجه الأوستيني.

خاتمة

إنّ البحث في التّداولية ومصطلحاتها أثار جدلا كبيرا عند الباحثين اللّسانيين العرب نظرا

لتداخل مباحثها وتنوّع مرجعياتها وتعدّد معارفها، الأمر الذي تسبّب في عدم استقرارها واعتبارها علما قائما بذاته، وبتجاوز هذه الإشكالية التي يمكن أن تكون إحدى مشاكل العلوم الحديثة كلّها، خضعت لامتحان صعب فيما يخصّ تحديدها كمصطلح، يقول محمود أحمد نحلة :" وكان من نتيجة هذا التّداخل، واتّساع مجالات التّداولية وتنوّعها أن أصبح من العسير وضع تعريف لها جامع مانع، وقد استطاع عدد من الباحثين أن يقدّموا تعريفات كثيرة للتّداولية ليس منها تعريف سلم من المآخذ عليه، وقد يناقض بعضها بعضا..."[31]، الأمر الذي حاولنا إيضاحه منذ البداية، علما أنّ الإشكال لم يتوقّف عند حدود النّظريات التّداولية، وإنّما طال الجانب التّطبيقي الذي شهد تشتّت المفاهيم والمباحث، وأضحت التّداولية مقسّمة إلى جزئيات توحي بعد التئام عناصرها وعدم وجود الرّابط بينها، ناهيك عن اعتقاد البعض بأنّ المنهج غربي وكان من المفترض أخذ الحيطة والحذر حين استيراده ومحاولة تطويعه للّغة العربية، ذلك أنّ اللّغات تحتمل خصوصياتها في الجانب التّعبيري والإبلاغي، يقول محمد عكاشة :"وقد تأثّر بمنهجها بعض الباحثين العرب، فترجموا بعض الدّراسات والكتب، واجتهدوا في تطويعها للدّرس العربي وتطبيقها وكتبوا فيها، بيد أنّ التّطبيقات يشوبها بعض اللّبس والضّعف، لأنّ منهجها غربي في مضمونه وتطبيقه، ولا يمثّل نسقا عامّا في كلّ اللّغات، ولا يساوق عرف التّعبير عن القصد في اللّغة العربية، ولا يعبّر تعبيرا دقيقا عن العناصر البلاغية في الخطاب العربي، فقد عجز عن استيعاب الأبعاد البلاغية والقصدية في النصّ"[32].

يبدو أنّ التّداولية عند اللّسانيين العرب اتّخذت منحى تطوّريا رهيبا، إذ أضحت المنهج الملائم لمختلف المدونات اللّغوية، مادام المنطلق يتلّخص في استعمال اللّغة، يقول فليب بلنشيه :" التّداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللّسانية (...) وهي كذلك الدّراسة التي تعنى باستعمال اللّغة، وتهتمّ بقضية التلاؤم بين العناصر الرّمزية والسياقات المرجعية المقامية والحدثية والبشرية"[33]، وإذا ركّزنا على مفهوم الاستعمال، فذلك سيحيلنا إلى مصطلحات أخرى وُضعت لتعبّر عن المصطلح الغربي مثل الإتّصالية وهي ترجمة لـCommunicative، والسياقية أو الموقفية أو المقامية وهي ترجمة لـ Situationnel، والقصدية، والتّبادلية، فالعمل بها لن يفي بالغرض، لأنّها مصطلحات أجزاء تدخل ضمن التّداول، ولا يمكن اعتبارها مقابلات كاملة وشاملة بأتمّ معنى الكلمة.

وانطلاقا من هذه الملاحظات والمواقف اتّخذ بعض الباحثين العرب قرارا بأن تعتبر "التّداولية" المصطلح الأنسب لـPragmatique، فالتّداولية تعنى بكل المصطلحات المذكورة، لأنّ اشتغالها يدور حول مقاصد المتكلّمين وأغراضهم، وما يحيط بالعملية الخطابية من ظروف تسيّر الخطاب داخليا وخارجيا، وما يرتبط بالذّات الإنسانية من ممارسات كلامية في مواقف معيّنة تستنجد بملابسات ظاهرة وخفيّة.

مكتبة البحث

1- ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان 2008، المجلد السادس.

2- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشّعر، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أب الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت 1986.

3- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت1991، مج2، مادة(دول).

4- الهواري بلقندوز، التّداوليات النصّية، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية 2008-2009.

5- بهاء الدّين محمد مزيد، تبسيط التّداولية، من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1، شمس الدّين للنّشر والتّوزيع، القاهرة 2010.

6- جميل حمداوي، "المقاربة التّداولية في الأدب والنّقد"، مجلّة العربية والترجمة، السنة الرابعة، العدد4.

7- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر 2009.

8- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة 1995،.

9- طه عبد الرحمن، الدلاليات والتّداوليات"أشكال الحدود"، البحث اللساني والسميائي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء 1984.

10- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ط2، المركز الثّقافي العربي، (د.ت).

11- فيليب بلنشيه، التّداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، سوريا 2007.

12- محمد السويرتي، "اللّغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 28، ع3، يناير/ مارس2000.

13- محمّد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشّرق، المغرب1999.

14- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت 2004،.

15- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر 2002.

16- محمود طلحة، تداولية الخطاب السّردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرّافعي، عالم الكتب الحديث، الأردن 2012.

17- محمود عكاشة، البرجماتية اللّسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة

الآداب، القاهرة 2013.

18- نعمان بوقرة، اللّسانيات واتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن 2009.

19-عيد بلبع، "في التّداولية: إشكالية المصطلح بين المفهوم والتّرجمة والتّعريب"، مجلة أقلام، دار الشؤون الثّقافية، بغداد 2008، ع5، س43.

20-C.Morris, writing of the general theory of sign, Lahay, Paris, 1974, p. 21.

الهوامش:

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرة الجامعية، مصر2002، ص 14-15.

[2]- فيليب بلنشيه، التّداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، سوريا 2007، ص17.

[3]- ينظر: الهواري بلقندوز، التّداوليات النصّية، مقاربة في فهم الخطاب وتأويله، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية 2008-2009، ص16.

[4]- المرجع السّابق، الصفحة نفسها.

[5]- ينظر : محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص52. و C.Morris, writing of the general theory of sign, Lahay, Paris, 1974, p. 21.

[6]- ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان 2008، المجلد السادس، ص328.

[7]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت1991، مج2، مادة(دول).

[8]-طه عبد الرحمن، الدلاليات والتّداوليات"أشكال الحدود"، البحث اللساني والسميائي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء 1984، ص299.

[9]- طه عبد الرحمن، الدّلاليات والتّداوليات، ص299.

[10]- طه عبد الرحمن، الدّلاليات والتّداوليات، ص299.

[11]- نقلا عن خليفة بوجادي، ص140. محمد السويرتي : "اللّغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 28، ع3، يناير/ مارس2000، ص30.

[12]- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر 2009، ص148.

[13]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ط2، المركز الثّقافي العربي، (د.ت)، ص243.

[14]- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التّراث، ص244.

[15]- محمّد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشّرق، المغرب1999، ص214.

[16]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة 1995، ص25.

• جعل هذا المصطلح مرادفا للسميائيات التي تدرس العلامة اللّغوية والعلامة غير اللّغوية.

[17]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص123-124.

[18]-عيد بلبع، "في التّداولية: إشكالية المصطلح بين المفهوم والتّرجمة والتّعريب"، مجلة أقلام، دار الشؤون الثّقافية، بغداد 2008، ع5، س43، ص28.

[19]- ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان 2008، المجلد السادس، ص28.

[20]- طه عبد الرحمن، الدّلاليات والتّداوليات، ص300.

[21]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص24.

[22]- بهاء الدّين محمد مزيد، تبسيط التّداولية، من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1، شمس الدّين للنّشر والتّوزيع، القاهرة 2010، ص18.

[23]- محمود طلحة، تداولية الخطاب السّردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرّافعي، عالم الكتب الحديث، الأردن 2012، ص01.

[24]- جميل حمداوي، "المقاربة التّداولية في الأدب والنّقد"، مجلّة العربية والترجمة، السنة الرابعة، العدد4.

[25] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت 2004، ص102.

[26]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشّعر، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أب الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت 1986، ص10.

[27]- نعمان بوقرة، اللّسانيات واتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن 2009، ص161.

[28]- محمود عكاشة، البرجماتية اللّسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة 2013، ص03.

[29]- طه عبد الرحمن، الدّلاليات والتّداوليات، ص302.

[30]- ينظر : طه عبد الرحمن، الدّلاليات والتّداوليات، ص302.

[31]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر 2002، ص11.

[32]- محمود عكاشة، البرجماتية اللّسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص04.

[33]- فيليب بلنشيه، التّداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، سوريا 2007، ص18.